# حورية

بقلم : كمال حمدي

واخيرا وصلت ..

حقيقة بعيت مشكلة صغيرة ما اهونها من مشكلة قالوا لي — من سيسير على الطريق — حتما يضل ... ولقد سرت متبعا تعليماتهم كادق ما يكون.. ووصلت في النهاية .. لم يبق سوى ذاك المشكل الصغير .. ما اهونه من مشكل

في بداية الطريق .. شغلني عنه .. ذاك الحلم الذي يراودني عن نهايته .. ورود وسنابل .. زهور هنا وهناك .. وريحان .. ما اطيب رائحته الذكية .. كل هذا فضلا عن «الست حورية» .. الست حورية التي وهبت نفسها لكل من يطرق بابها.. تهبهم كل مايطلبون .. سعادتها في ان تهب دائما.. لاتخل ولا تكل .. فقط عليك ان تصل اليها وتطرق بابها في ظلمة الليل .. وانك ان تسأل كل ماتريده .. ستجده لديها.

سبحت في ذلك الحلم .. بينما اسير في طريقي اليها .. خطوات وخطوات .. حتى شعرت ببعض التعب في قدمي .. فقط هنا احسست بالطريق الذي اسير فيه .. تلفت حوالي .. فاذا هي الصحراء الجرداء لا ظل لأحد ... ولا رفيق .. والسماء خالية حتى من السحاب .. ليس هناك سوى الرمال الصفراء والشمس وانا .. رمال وشمس وانا كل ما هناك ... وحيد انا على الطريق .. طريق لا يبدو له نهاية.. وما زالت في النفس ذكرى عن بدايته..

من الذي اتى بي هنا ..؟ حديث عابر في مقهى نجلس اليه .. كم حدثنا رضوان عنها .. امراة ملئة بالاونة .. تهب السعادة لكل من يطرق بابها .. واخذ حديثه بكل الالباب .. حتى صرنا جميعا نتشوق الى سماعه كما نتاق الى سماع سيرة الظاهر بيبرس. وسيف بن ذي يزن .. كنا نظن حديثه خرافة .. الى ان عاد الشيخ حمزة من عندها بعد ان ارتحل عنا وغاب ثلاث سنوات .. عاد يحدثنا عنها نفس الحديث. وان كان بوقع احمل بستمده من الواقع المرير الذي نعيش فيه .. ولكم حالحني سؤال عنيد ..

***

لماذا عاد اذن الشيخ حمزة .. مادام قد عثر على السعادة التي نحلم بها بين ضبابات الدخان المتصاعدة من افواهنا ... وكثيرا ما كنت اهم ان اساله ذاك السؤال في الجمع المحتشد

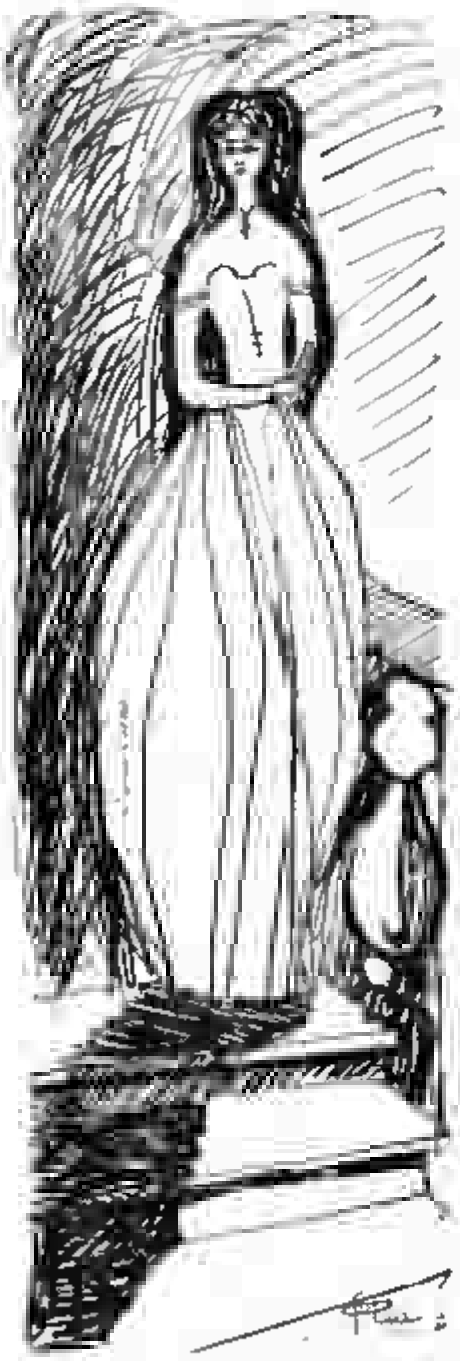

المحب الى حديثه المشوق .. ولكني دائما كنت اوثر الصمت خوفا ان أعكر السهرة بسؤال سخيف .

وفي ليلة آثرت ان اصحبه الى بيته بعد انتهاء السهرة ودار في ذهني السؤال الملح وانتهزت فرصة الظلام الذي يلفنا سويا ، فبادرته بالسؤال.

ـ ابه .. لماذا عدت أدراجك يا شيخ حمزه من عندها ...؟

لم يفاجأ الشيخ حمزه كما كنت احسب . بل صمت لحظة واجاب وبريق عينيه مسلط علي ..

ـ سؤالك ليس وليد اللحظة ... لقد لمحته في عينيك منذ زمن طويل محمود .. هذا امر الله .. وامر الله مطاع .. محمود .. اذهب اليها فانك من رجالها ... وهذا هو مصيرك .. وانى المح في غيابات المستقبل مايبشرك من سعادة .. اذهب ان الطريق شاق ولكن النهاية مجزية .. فكر في الامر وعزم .. وان عزمت فأتني غدا بعد منتصف الليل .. لاروادك نصائحي . وعلامات الطريق . ترشدك خوفا من الضلال .

***

وقد كان ... فقمت .. فقبلت لياليَ مسهدا .. وغداة يومي شاردا .. لا أدري فيم السهاد وفيم الشرود .. فلقد اتخذت قراري منذ حدثني هذا الحديث ... وذهبت اليه في منتصف الليل ولم يستغرق حديثنا سوى ساعة بدات في اثرها رحلتي فورا اليها ..

وحيدا صرت في الطريق .. وكثيرا

ما صادفت المشاق .. حر شديد .. وتعب اشد .. وجوع وعطش .. وهواجس وظنون .. وخاطر ندم يسمو بمو الايام ... يراودني ... الم اكن سعيدا حيث كنت .. كانت هناك ثمة عروس تنتظرني .. وكان كل شيء معدا لاستقراري وهنائي .. وتمضي حياتي كما مضت حياة الكثيرين من قبلي .. فلم اسمعت الى هذا الصوت ؟ ولم أثرت الرحيل .. وهذه المشقات التي تبدو لا نهاية لها .. ايه .. المكتوب على الجبين لا بد وان تراه .

واخيرا لاحت نهاية الطريق .. وبدات المدينة بمعالمها كما حدثني الشيخ حمزة .. وولجت اول طرقها .. فهالني ما ارى .. لم ار سوى مدينة صغيرة تكاد تشبه قريتنا .. اهذا ماحلمت به .. لقد حلمت في احلامي مدينة ذات قباب عالية .. تحف بها الانهار ... طرقاتها مروج خضراء .. اين كل هذا من تلك المدينة التي اسير غريبا في طرقها .. الا اني اثرت المضي .. جميعنا يعرفون قصرها .. فتوقعت لاسأل احد المارين :

ـ السلام عليكم .

ـ عليكم السلام .. غريب ..

ـ غريب .. هل لك ان تدلني على قصر السنت روحية ..

ـ قريب جدا من هنا .. عليك ان تسير في هذا الطريق حتى نهايته ثم تنحرف الى اليمين تجده امامك .

آه .. واخيرا قد وصلت .. وهممت ان اسير حتى اطلع النهاية سريعا .. ولكني تذكرت قول الشيخ رضوان « للبيت حورية عادة عربية .. دائما تنظر الى جداء اي ضيف يزورها .. ان كان نظيفا لامعا .. تقبل الزائر بترحاب وان كان قذرا مترنا تطرده على الفور » .

ونظرت الى حذائي .. فهالني التراب الجاثم عليه .. فرحت ابحث عن محل احذية .. وطال بي البحث الى ان سألت أحد المارين ..

ـ الا يوجد محل احذية قريب ..؟

ـ في بلدتنا لا يوجد سوى محل احذية واحد .. هناك في ( ميدان الحياة ) .. سر الى الامام ثم انحرف الى اليسار .

***

وسرت سريعا الى « ميدان الحياة » وهناك وجدت طابورا طويلا جدا امام احد الدكاكين (واقتربت) لم يكن سوى دكان الاحذية .. ومضيت الى داخل المحل فتعالت اصوات الاحتجاج .

ـ ايه بالدور يا اخينا .. ما زلنا منتظرين منذ ايام الى ان يأتي دورنا .. بالنظام .. اتفهم بالنظام ..

ورحت الى نهاية هذا الطابور الآدمي الطويل .. اقف منتظرا .. وطول انتظاري .

نعم .. هذه هي مشكلتي الاخيرة .. وكم هي هينة .. على فقط ان انتظر دوري للمس الحذاء .